علي ملحم

بقايا إنسان

شعر



الفارابي

بقايا إنسان

علي ملحم

بقايا إنسان

(شعر)

دار الفارابي

الكتاب: بقايا إنسان

المؤلف: علي ملحم

الغلاف: فارس غصوب

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان

ت: ٣٠١٤٦١(٠١) - فاكس: ٣٠٧٧٧٥(٠١)

ص.ب: ١١/٣١٨١ - الرمز البريدي: ٢١٣٠ ١١٠٧

www.dar-alfarabi.com

e-mail: info@dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى: آب ٢٠١٥

ISBN:978-614-432-068-6

المحتويات

إهداء.. ١٣
المجد الضائع ١٥
الذنب العظيم....................................... ٢٠
اعترفتُ لها.. ٢٢
أبوحُ بأسراري....................................... ٢٥
أنتِ.. ٢٨
الرقصُ على ضريحي.................................. ٣٢
إنها ليست أيامي..................................... ٣٥
إهانة زمانْ.. ٣٨
أيتها الشمس....................................... ٤١
بقايا إنسان ٤٤

بلا ريٍّ... بلا حصادِ ٤٨
بلادي.. ٥١
بيان رقم واحد ٥٣
تعسُّفْ ٥٦
حافزٌ للاستمرار................................. ٥٨
رجاءُ عاشقٍ متروك.............................. ٦٠
رسالةٌ قصيرة إلى الغربة ٦٤
رسالةٌ إلى بيروت................................ ٦٦
رصاصة الرحمة ٧١
صُدفة ٧٤
طلبُ استقالة ٧٦
عتابٌ لليل ٨٠
عيناكِ.. ٨٣
في الحديقة العامة ٨٦
قلبُ إنسانْ ٨٩

قولي لي ٩١

قومي ٩٥

كيف لا أنوحُ..................................... ٩٨

لحظة أملْ ١٠١

لماذا أبقيتني حياً ؟............................ ١٠٢

ما لي؟ ١٠٥

مراجعة تاريخية في أمة العرب.................. ١٠٦

هذا قراري ١١١

هو حلمٌ لأجلك ١١٤

ونحنُ نائمون...................................... ١١٨

أنا من تقول له الحروف الغامضات

اكتب تكن

اقرأ تجد

محمود درويش

إهداء

إلى كلِّ

فارس لا يغمد في صدر أخيه خنجراً باسم الوطن

ويصلّي لينال المغفرة

إلى من يعتقدون

أننا سنصير شعباً حين ننسى ما تقول لنا القبيلة

إلى من لا عرش لهم إلا الهوامش

إلى العظيم الراحل محمود درويش في ذكرى رحيله

السابعة

أهدي هذا العمل

المجد الضائع

ضعْ يديكَ في يديّ

كي تولد ملايينُ الأصابعْ.

فإنَّ الأصابعَ الشريفةَ في الأوطانِ

أعمدةٌ...

تبني لنا مصانعْ

تمسحُ دمعاً عن عيونٍ

عجِزتْ عن إيقافها المدامعْ.

الأصابعُ،

تكتبُ شعراً...وتحفرُ قبراً

وتدوسُ الزناد رأسَ حاكمٍ

ما انفك يوماً شعبهُ يُخادعْ.

إنَّها قادرةٌ على القبض على جوزةِ إمامٍ

أمضى عُمره باسمِ الدين يزني بحريتي

وهو...

باسمِ الله أربعاً يُضاجعْ.

الأصابعُ

تحفرُ تاريخَ العارِ على جدران زنازيننا

تفضحُ المعتدي في كشكولِ أطفالنا

تُخبّئُ بجيبنا خُصلةً من شعر الحبيبِ

قبل أنْ يُفشى سرُّها...

عاداتٌ

على عداوةِ الحُبِّ تجتمعْ.

الأصابعُ

تُفقأُ عيناً...تُنيرُ درباً

وتكتبُ حرفاً يُشعِلُ ثائراً في وطنٍ

من شدّة تعفنّه

ما عاد يعرفُ من يُصارعْ.

الأصابعُ

تُرفعُ في بلادي زوراً...

شارات نصرٍ

والأعداء بها يدكُّون المدافعْ

وقد نسينا

عن شرفنا...عن تاريخنا

عن فلسطينْ...

منذ زمنٍ أن نُدافعْ.

لقد سئِم الوقتُ انتظارنا...

والتاريخُ زورنا...

واليأسُ يأسنا...

وسخِرتْ من روائعنا الروائعْ.

فضعْ يديكَ في يديّ

كي تولدَ لنا أصابع،

علَّها الأصابعُ،

تُفتشُ،

عن مجدٍ في الوجدانِ والكتابِ المدرسيّ ضائع.

فجدْ لنا يا ربي ضالتنا!!!

راوحنا مكاننا ألفَ عامٍ...

وسنقف مثلها،

ولم أجد غير الرجلِ فينا... ضائعْ.

الذنب العظيم

إنَّهُ أمامي،

دائماً...

جالسٌ أمامي.

يراقبني وصقيعه الآتي من البعيدِ...

يجلدني كسوطٍ من نار.

عيناهُ تحدقان إليّ،

تراقبانني أينما ذهبتْ،

و تأكلانني...

تمتصان قوتي،

تدخلان قلبي،

كسكينٍ ومنشار.

تطعنني... تحرقُني،

مشاعر الشكِ تلتهمني،

تغتالُ شبابي ورجولتي.

الغيرةُ... والصور في داخلي

ماذا سأ فعل بها ؟؟

كلَّما أتذكرُ ذنبكِ العظيم.

اعترفتُ لها

بعدما أمضيتُ ثمانية عشر عاماً

موقوفاً لدى قلبي،

بتهمة الجبن والانتظار

قررتُ الاعتراف أخيراً .....

فأنا ما عدتُ أملكُ الخيار.

طوال هذه السنين،

والمحققون يجلدونني ....

على ظهري،

على بطني،

ويعذبونني بالكهرباء والنار.

عبثاً حاولوا أخذ اعترافي،

وأنا...

غيرَ الصمتِ ما كنتُ أختار.

لطالما اقتلعوا أظفاري

ووضعوا رأسي في الماء

حتى التخمة،

عبثاً حاولوا أخذ اعترافي

وأنا...

غيرَ الصمتِ ما كنتُ أختار.

فلا داعي بعد الآن،

لا داعي لتعذيبي، أيها السجّانْ...

لا داعي

أن تضربني

أن تمسح بلحيتي...

غُبارَ الأيامْ

لا داعي أن تطبع حذاءك على وجهي

كي أعترف

أو أن تأمر بمبيتي ثلاثةَ أيامٍ

مكبلاً تحت الأمطار.

فأنا اعترفتُ لها...

أيها القلبُ (السجان)!!!

فمزّق محاضر الاتهام.

وأنا... ذلك العاشقُ الذي اعترف بحبِّه،

فدفع عن نفسه حُكمَ إعدامٍ...

كي ينالَ حُكم انتحار.

أبوحُ بأسراري

أرغبُ في إفشاءِ أسراري،
كي ترتاحَ أفكاري.
فقد شاخ قلبي من دفنها...
خلفَ أسوارِ الدارِ.

أرغبُ في إخراجِها مني،
وشيءٌ ما يمنعُني!!
فأركضُ... وقد باتت على الأبوابِ،
«شظايا» من الأحبابِ،
فأجمعها من جديدٍ في صدري، وأدفنها
فأنا رعديدٌ،
يخيفني المجهولُ خلف أسراري.

أرغبُ وكم أرغَبُ في إطلاقها،

على شكلٍ...

صُراخٍ، نباحٍ،

أو رياحْ.

أو ليتها تذهبُ ولا أعرِفُ لها مكاناً،

فإني عاجزٌ عن أخذ قراري.

إنَّ الوقتَ قد حانَ...

للبوحِ بأسراري،

كي أوقفَ موتَ أشجاري

كي أُلبِسَ فستان العُرسِ أخيراً...

جسدَ أشعاري.

كي أمحو الأسودَ الذي لوّنَ أزهاري.

لقد تعِبتُ من الكآبةِ...

من الرتابةِ...

من العزفِ على هذه الأوتارِ.

أرغبُ وكم أرغَبُ في إطلاقها،

على شكلِ...

انتفاضةٍ،

ثورةٍ،

أو انقلابْ.

لم يعدْ يهمني إن هتكت السترَ،

أو هشَّمت كُلّ الأبوابْ.

ما يهمّني من الآن،

كسر هذا الحاجز...

بين الظلماتِ والأنوارِ،

حين أبوحُ بأسراري.

أنت

عالمي مركبٌ

وأنتِ فيهِ الشراعُ،

وطني جُملٌ موسيقيةٌ

وأنتِ لها الإيقاعُ.

أنتِ تختبأينَ بين منحدرات يديّ،

وتتوسعين في عينيّ.

أنتِ من تحدّد آخرتي،

تستدرجينني وتقتلينني

بسيفٍ في خاصرتي.

أنتِ تغتصبينَ حاضري

وتضاجِعينَ ناظري،

كلما مررتِ أمامي

واخترقتني في منامي

أنتِ وأنتِ وأنتِ.

شبهُ جزيرةٍ قلبي

وأنتِ ممرّهُ البرّي الوحيد،

كلُّ الدنيا على وجعي بكت،

إلّا عيناكِ كانتا المعارضَ العنيد.

مع أني أكتُبُ لكِ

وفرحي يدٌ على ظهركِ تتكئ

فرحي شعرٌ منذ زمنٍ قد فقد وزنهُ

وصار على أوزانكِ يُنظمُ،

ومنكِ صوراً يستقي.

أنتِ يابستي...أنتِ محيطي

أنتِ عزمي...أنتِ تثبيطي،

أُرسمي وجهي فوق خارطتكِ

بأيٍّ شكلٍ تريدين،

ضعيهِ في أيٍّ وطنٍ تريدين،

فأنتِ لي الاستعمارُ

وأنا الشعوبُ المساكين.

احتلّي أرضي...

هلّا أطماعكِ ترضي؟

اعبثي بقصائدي...

غيّري عقائدي،

امحي من ذاكرةِ الناسِ تاريخي،

انفي جسدي إلى المرّيخِ

أُحكمِي عليّ عسكريّاً بالإعدامِ،

اتهميني بالمؤامرةِ على النظامِ،

دعي أحكامكِ المستبدةَ والجائرةَ

تستفحِلُ في داخلي،

فواللهِ...

لن أُجنّ،

لن أثورَ، لن أتكلم.

فأنا عاشِقٌ تعوّد الظُلمَ،

وأنتِ في هوانا حاكِمٌ عربيٌّ

من شعبِه... تمكّنْ.

الرقصُ على ضريحي

كنتِ في داخلي بسلامٍ

تستريحين.

ومن بردٍ قلبي يُغطيكِ،

من الصقيعِ،

من الريحِ.

وطمأنينتُكِ تعانقُ طمأنينتي،

حتى سكن في داخِلنا مُحمدٌ

ونامَ عيسى على ذراعينا،

وغنينا معاً،

ابتهالات العشقِ والتسابيحِ.

كان الهدوءُ يضجُّ بأمكنتِنا

وسيفُ السكون يستبيحُ دمَ الضجرِ،

لم نكن نحتاجُ في عشقنا حبيبتي

إلى أيِّ حركةٍ تصحيح.

من كان يرتّلُ بصوتِ الله.... كي تنامي

غيرَ حُنجرتي؟

من كان يشعلُ أصابعهُ

لكِ شموعاً؟

وعيناهُ قد جفتا...

على وجعكِ دموعاً.

لماذا قررتِ مني الخروج؟

من داخلي،

من عمقي،

وقررتِ فيّ الولوج!!

في تفاصيلي،

في ديانتي،

في عقيدتي،

في جفافِ رومانسيتي،

وفي تصحُّرِ مشاعري.

لماذا أتتكِ فجأةً...

هذهِ الرغبةُ في قتلي؟

والرقصُ على ضريحي.

إنها ليست أيامي

ما كانت هذه الأيامُ أيامي،
فأرضي جرداءُ، وقاحِلٌ بستاني.
الغيمُ أسودُ، والمطرُ يعصي الأماني.
فكري "مُشوشٌ"...
حبري شحيحٌ،
مصابٌ أنا بإحباطٍ في أحلامي.

ما كانت هذه الأيامُ أيامي،
لماذا تُخفيني يا زماني؟
مع أنِّي غيّرتُ مكانَ إقامتي،
ومجهولٌ لديك عنواني.

فلماذا إذن تنهكني لكناتُ السيوفِ؟
وبقلبي تضيقُ غزارةُ السهامِ.

ما كانت هذه الأيامُ أيامي،
والأسودُ القاتمُ قد صبغ ألواني،
والنايُ الحزينُ قد سكن مسمعي،
فأنساني غيرهُ من ألحانِ.

فأنا لا أدري ماذا فعلتُ؟
ولا أدري لماذا أُعاقبُ؟
كمن ارتكب الأفعالَ الجِسامَ.

فهذا المدى لي قاضي،
وبحكمِ النجومِ أنا راضي.

فإنَّ هذه السماء تعرفني،

وهذهِ الأرض تعشقني.

والماء يشهدُ كيف كان يغسلني...

وكم نفض عن ثوبي تُرابي.

إهانة زمانْ

وجهي الغبارْ،

خلف كُلِّ هذه التلالْ.

خلفهُ ألف وادٍ،

خلفهُ بابٌ بألفِ قفلٍ...

وآلافِ الأغلالْ.

فمن يراني، من يسمعُ صوتي؟

اشتقتُ كثيراً إلى رائحةِ الياسمينِ،

اشتقتُ إلى رائحةِ البرتقالْ.

اشتقتُ إلى حضنِ امرأةٍ تفهمُ وجهي المتورّدَ...

المتلهفَ عليها،

تفهمُ طفولةَ الرجالْ.
فأنا أبعدُ...أبعدُ وأبعد،
فهلْ من شيءٍ في الدنيا
قد يُعيدُ لي نشوةَ القتالْ؟

وجهي المائعُ في ألفِ صندوقٍ وسردابْ.
رصد المشعوذون الصناديق،
أحرقوا الكتابْ.
فمن يراني، من يسمعُ صوتي؟
جدرانُ سجني بيضاء....
ليس عليها مخطوطةُ ذكرياتٍ،
ليس عليها مدوناتُ عذابْ.
فمن يؤنسني في وحشتي؟
من معي غير هذا الضوء الأبيض اللامتناهي
غير هذا السرابْ؟

لوجهي ألفُ عنوانٍ وعنوان.

كُل الوجوهِ تشبِهُ وجهي

لكن وجهي بلا مكان.

فمن يراني، من يسمعُ صوتي؟

من يفهمُ عينيّ الدامعتين؟

من ينفخُ بمزمارِه... من يشعِل قبس النارِ،

من يجد لي النسيان...

إني أريدُ أن أسألهُ...

لماذا يُهينني هكذا الزمانْ؟.

أيتها الشمس

مُدّي يديكِ أيتها الشمس،وأنقذيني

فأنا ابنُكِ المنسيُّ،من سنينِ.

قد ذبُلتُ بين الورودِ التي كانت تُغنّي

نشيدَ الصباح... لحن الرياح،

وتتلو آياتِ الطاعةِ والولاءِ

لحاكمٍ ليس بأمينِ.

حاكموني بتهمةِ الخمولْ

وأني غيرُ منتجٍ، وأني كسولْ

وأنَّ زهري وقِحٌ

وباقي الزهرِ خجولْ

وبأني جاحِدٌ بحقِّ الحاكمِ

وسببُ عيشي...أنَّهُ صبور.

أيتُها الشمس

ألقي يديكِ لتسبحا فوق سريري،

تداعبا وجهي، جسدي وضميري.

لماذا عدلتِ رأيكِ ؟

ألن تزوري زنازيني؟

لماذا امتنعتِ عن ضخِّ الأملِ في شراييني؟

فالعفنُ يكسو جسدي

وجهلُ السجانِ يزيدُ أنيني.

أيتُها الشمسُ

وحدكِ من يذيبُ عن أغلالي صقيعي

فدورةُ دمي تعصيني...كما الجميعِ

فأنا أصبحتُ في السجنِ عجوزاً

ولكنّي للحريةِ... كطفلٍ رضيعِ.

أيتُها الشمسُ

يا أسبابَ بوحِ الورودِ

وزهرِ البرتقالِ

يا سرَّ الآلهةِ في رائحةِ الياسمينِ

لماذا أنتِ مثلهم تظلمينني

هل يوماً ستحاكمينني؟

أيتها الشمس...

أريدُ أن أسألكِ...

ماذا كنتِ ستفعلين؟

لو حكمكِ يوماً...

مثل هذا اللعينِ؟

بقايا إنسان

لأنكِ وعدٌ...ودربٌ طويلْ
سأبقى أحبكِ رغم المستحيلْ
لأنَّ الزمانَ عشيقُ المجون
وكذبُ اللسانِ وزيفُ العيون

لأنَّ حياتي انتظارٌ.... بانتظار
وقّعتُ مع الوقتِ هدنةَ انكسار
فأنا تعبتُ من فرط خوفي
وكتم السرِ أنهك جوفي
أريدُ الصُراخَ بأعلى صوتي
أنتِ حياتي... أنتِ موتي

أنتِ قدري... أنتِ زماني

أنتِ وطني... أنتِ مكاني

أنتِ الإنصافُ لكلّ العمرِ

وقد أتلفني طولُ الصبرِ

سأبقى أحبكِ رغم المستحيلْ

لأنكِ العمرُ بوجهه الأصيل

ولأني يئستُ من زور البشر

وعهرِ الناس...وقسوةِ القدر

لأنكِ وحدكِ... المنظر الجميل

في زمنٍ قاسٍ... قذرٍ... ذليل

سأبقى أحبكِ...ومحالٌ محال

تركُ حُلمي صعبُ المنال

فأنا رغم الذلِ في هواكِ... والهوان
ما زال فيّ بقايا إنسان
حطامُ صخرٍ... ووجعُ رصيف
وورقٌ أصفرُ يصارعُ الخريف

وحدهُ عشقي... كما كان
لو تغيّر لي ألفُ عنوان
لو داستني أحذيةُ السفر
أو أنهكتني سجونُ الضجر
لو استسلم عقلي للهذيان
أو نفد صبري على العربان
لو دفن قلبي في عراءِ الصحاري
ستبقين أنتِ شرفي.... وعاري
ستبقين أنتِ شنطةَ سفري
وشظاياكِ...عطركِ... لمساتكِ

كل ما أملكُ...كل ظفري

سأبقى أحبكِ رغم المستحيل

وبيني وبينكِ ألفُ دليل

رغم ملايين الجدران التي تفصلُنا

رغم الجبالِ والبحارِ بيننا

رغم وعورةِ الطرقاتِ... وبعد المسافات

رغم شيخوخةِ قلبي... وتاريخكِ قبلي

رغم أني أحيا...

بلا وطنٍ...بلا عنوان

سأبقى أحبكِ...

فما زال فيّ بقايا إنسان.

بلا ريٍّ... بلا حصادِ

قبلَكِ...

كان قلبي لعيشه...

يدقُّ،

بكسلٍ،ببلادة

بكلِ هوادةٍ،

بالكادِ أشعرُ بوجودِ فؤادي.

أحببتُكِ...

فأيقظتِ به الخلجات،

وأحييتِ قلبي... من الرقادِ.

يا عشقاً دخلني عَنوةً،

ونما على لحمي خلسةً،

بلا ريٍّ... بلا حصادِ.

هكذا أتاني حُبكِ فرضاً،

أتاني كقضاءٍ مُقدَّرٍ،

لم أكن أنتظرهُ...

ولا كان على ميعادِ.

لا تزالين في داخلي،

تحدّدين أولي وآخري

لم تستطعْ السنينُ لفظكِ مني،

لا بسلامٍ أو حُروبٍ

لا بمرونةٍ أو عنادِ.

وينتقدون وينتقدون...

والصدى صنيعُ السكون

أنتِ ضياعي وإرشادي

يزدادُ حُبكِ في قلبي اشتعالاً

كلما صبُّوا الزيتَ فوقَ انتقادي.

أنتِ دليلي، بوصلةُ جهاتي

يتيه دمي،

بأورادكِ يجري أم بأورادي.

يا وطني، يا منزلي الأخيرَ قبل موتي،

يا ألماً لم يكن قادراًعلى نقلِهِ صوتي،

يا من نفتني إلى داخلي...

ونسيتني،

يا صحراء خيلي، يا انبلاجَ النورِ فوق يدي الليلِ،

يا رجفةَ الاشتدادِ، يا اهتزازَ الإلحادِ،

كل بلدٍ تسكنهُ عيناكِ...

بلادي.

بلادي

في بلادي
أزقّةٌ تشتاقُ إلي
وياسمينٌ وبرتقال.
والحُبُّ فيها كطعمِ العسلِ
عسلُ فراقٍ، وعسلُ وصالْ.

في بلادي
أحلامي المؤجلة والأملُ الثقيل
اللذان قتلاني يوم قررا عني الانفصالْ.
في بلادي
أناسٌ كانوا يشبهونني

كانوا يشبهون...

طيبة أمي ، عبوس أبي

والقهقهاتُ وقد زرعها حول دارنا الأطفالْ.

في بلادي

مللٌ جميل، منظرٌ أصيل

والوقتُ قد منح رعاياهُ الاستقلالْ.

في بلادي

ذلك الترابُ الذي سيغطيني وحدي،

وقبري الأبدي الذي سيؤويني وحدي،

حيث أنتم قد انصرفتم...

كي تتقاتلوا

على ما جمعتهُ طوال غربتي

عن بلادي... من أموالْ.

بيان رقم واحد

تركتُ حبيبتي... فتركتني،

وكأنها بالنارِ أحرقتني.

تركتني في الدنيا بعدها...

ألُمُّ أوجاعي،

يا ليتني عرفتُ قبلاً قدرها

أو... كانت هي أخبرتني.

لمْ يمهلني حُبّي طويلاً،

فحبيبتي للضياعِ... أطعمتني.

خانني صبري، وغيرتي عليها

فما لبثتُ أن بعتها... باعتني.

فكنتُ كفتيلٍ ينيرُ دربها،
وحين الصبحُ عليها تجلَّى...
نفختْ في قلبي، وأطفأتني.
كأنَّها قبلي قرّرت الرحيلَ عنّي
خانها التردّدُ... فانتظرتني.

هكذا الحبُّ كلّ مرّةٍ يؤذيني،
يكتبني سطراً... ويمحوني.
يرسلني خلف حدودِ الخيالِ، بأحلامي

يرسلني إلى الهندِ... والصينِ.
وسرعان ما أتراجعُ.... وأعلنُ توبتي،
وأعودُ أتراجعُ...

حينَ تنادينني.

يا لعاري.. جبني وتردّدي،

تركتُ حبيبتي كي أحميها مني

فمن يا ترى منها...

يحميني؟

تعسُّفْ

ليتني لا لساناً ملكتُ
ولا بينَ أضلعي نما لي قلبُ
فأنا السلامُ والخُضرةُ والريحُ
وعن يدي تأكُلُ بيضُ الحمائمِ الحبّ.

الكلامُ لو أخطأتهُ، أخطأني
فما ذلَّني شيءٌ في الدنيا كما الحُبُّ.

ما أضعفني بين الناسِ، بلسانٍ طاهرٍ
وكم بينهم عُمرُ طويلِهِ صَقبُ.

تصفعني الدنيا استطالةُ على وجهي ثم ترفعني،
وما كنتُ دريتُ لماذا مُدحت سابقاً ؟
ولماذا أنا اليومَ... يطالني السبُّ؟

حافزٌ للاستمرار

نحنُ يا وطني كإصبعين تباعدا،

سنعود عندما نتعبْ.

نحنُ يا وطني كورقِ خريفٍ أصفر هزيل

استغلَّته الريح،

فأسقطتهُ بالضربةِ القاضيةِ من أولِ جولة.

لكن لا يزال يحضن سقوطنا،

رصيفٌ واحد...

ليلٌ واحد،

ومصيرٌ مجهولٌ واحد.

الربيع حتماً آت،

والشجرةُ لا يمكن أن يوقفها سور،

والسورُ لا يمكن أن يهزمَ عصفور.

مهما افترقنا في الجسد،

شوقي وسعةُ المدى

وصوتي ينقُلهُ الصدى.

ستعود شمسنا واحدة

وقمرنا واحد،

وحتّى تلك الدمعة التي كُنت عليَّ تذرفها...

عندما كان يصفعني الزمان...

ستعود.

رجاءُ عاشقٍ متروك

لا تتركيني يا صغيرتي...

لا تتركيني،

فليس لي سواكِ من مُعينِ.

وليس لي سواكِ يعيرني أحلامهُ

وبالمجانِ، يقدمُ أيامهُ

وأنَّ الدنيا جميلةٌ...

عليكِ وحدكِ أن تُقنعيني.

لا تتركيني يا صغيرتي...

لا تتركيني،

أوشكت هكذا أن تنحريني.

فهل يا حبيبتي...

لجثتي المبتلةِ تحت المطر

وأقدامي التي نحتت صورها على كُلّ الأرصفةِ،

ووجهي الذي كتبت عليه الريحُ سيرتها الذاتية

وأصابعي المكسورة...

ولساني المتشقّق،

إمكانية أن يعدّل من قرارِكِ...

أن تقتليني؟

فأنا عديمُ الجدوى

أنا عديمُ الفائدة

وأنا عديمُ الحُبِّ،

لكن ما زال يسهلُ عليكِ صهري،

ويسهلُ عليكِ تعديني.

فأرجوكِ لا تتركيني...

لقد تعودتُ أن أجلس أمامك كالطفلِ

كي تطعميني.

وتعودتُ الاستسلامَ بين يديكِ

حين شغفكِ للرجلِ يناديني.

فأرجوكِ لا تتركيني...

باسمِ مواعيدنا والسنينِ،

باسمِ ما بيننا من ورودٍ

باسم «عقود» الياسمينِ.

أرجوكِ لا تتركيني

فأنتِ ارتيابي... ويقيني

وأنتِ كفري... وديني،

وأنتِ قهوةُ الصباح

والبلسمُ والرماح.

فكيف لكِ أن تؤذيني؟

لا تتركيني

لا تذبحيني.

فإني في هواكِ أنا سجينٌ،

فليتكِ تكوني أنتِ في هواي

كالسّجين.

رسالةٌ قصيرة إلى الغربة

عيناي دامعتان

فوق كفّيكِ المتحجّرتين

تشرب يداكِ من دمعي...

ولا تشبعان.

تشربان...

وتفوح منهما رائحةُ الزيتِ والبخور،

كم أريدُ أن أضعَ فوقهما هذه القطعة من الرخام

وأنتهي،

وأعلن للناسِ موتهما

وأنتهي،

وأزرع الورود والدفلى فوق قبريهما الباردين

وأنتهي،

لكني ما زلتُ أخاف على كفّي بعد كفيكِ اللئيمتين...

من اليتم،

من الفقر،

من العوز.

رسالةٌ إلى بيروت

أما بعدُ،

يا بيروتُ نقولُ:

كفاني من بعيدٍ أُناديكِ

وأنتِ صمّاءُ،

لا تسمعين من يُناجيكِ.

طحنني الزمانُ فُتاتاً

في هيجاءِ العُربان،

ونثرني شِعراً طار إلى أراضيكِ.

كفاكِ يا بيروتُ،

ظُلماً بمن يهيم بكِ حباً

وأنتِ تعشقين من يُعاديكِ.
نحنُ أولى بالعشقِ منهم
صدِّقيني
فنحنُ الإخلاصُ
نحنُ وضوءٌ
يُطهِّرُ رِجساً فيكِ.
نحنُ شِعرٌ...نحنُ نثرٌ...نحنُ عبيرٌ
نحنُ رصيفٌ
يتلقَّى عن وجْهكِ أحذيةَ الزناديقِ.

نحنُ عمَّالٌ... نحنُ فلاحون
نحنُ أطباءُ...
نداوي جُرحاً راعفاً يؤذيكِ.

إنَّهُ الصباحْ....

فيا بيروتنا أرجوكِ... استفيقي

استفيقي.... استفيقي.

أمَا كفاكِ سهراً...أمَا كفاكِ غيبوبةً

أمْا كفاكِ رقصاً

ألا تملّين استهزاءَ وجوهِ ساهريكِ؟؟؟

فالهريان بات يتسرطنُ بكِ

والشيبُ أصبحَ يُكذّبُ تصابيكِ.

نُريدكِ أُمّاً...

تحتضِنُ أبناءها

ونحنُ من حولِكِ مِخرزاً يفتديكِ.

لا نُريدكِ يا بيروتُ.... أبداً

فرْجاً

يُفتح للعُربان بِلا تدليكِ.

فليذهبوا...
ومالهم الذي يعبقُ نفطاً
وإن لم نبنكِ نحن...
فمن يبنيكِ؟؟؟

استفيقي يا بيروتُ
أرجوكِ استفيقي
فالموتُ في الغربةِ يأخذ قياس أجسادنا
فتجهّزي كي تتسلمي أجسادنا بالصناديقِ.

ما زالَ هُناكَ أملٌ
وبقايا أمنيات
وكثيرُ كثيرٌ من الذكريات
ما زال هُناك لؤلؤٌ مشرقٌ
في أعماقِ البحرِ السحيقِ.

نُريد أن نعودَ حقاً إليكِ

نعملُ... نحيا

ونُدفنُ فيكِ.

ولكن إن بقيتِ على هذا السُباتِ

من سيدُلُّ أقدامنا على الطريقِ؟؟

استفيقي يا بيروتُ

أرجوكِ...

استفيقي.

رصاصة الرحمة

أُطلقت عليّ أخيراً

بعدما انتظرتها طويلاً

رصاصةٌ في جيبي.... وهي الاخيرة،

أردت أحلامي... قتيلة.

ورمت جثتي تنهشها الحيرة

بعدما لطالما... في بدني صالت

وبين عينيّ جالت

وبوجعي تغذّت

وأقالتني من الأملِ...

وعبثاً من جبروتها ما استقالت.

أُطلقت عليّ أخيراً

فأهدت إليّ الموت الرحيم

بعدما ملّت أجزائي

هذا الإنعاش العقيم.

فلطالما عشقتُ الدنيا

وعشقُ الدنيا زنيم

فإن الدنيا في بطونها قد تبتلع

كل صحيحٍ...وسقيم

أُطلقت عليّ... فعلمتني

قضاء الدنيا والقدر

وأن الحياة.... قد تقسو

وقلبها يصبحُ كالحجر

فأنا ما عرفتُ لماذا اليوم أُهانُ؟

ولا لماذا بالأمسِ....

كنتُ المُنتصر؟

صُدفة

ماذا فعلتْ يداكِ بخد الياسمين؟

لماذا اقتربتِ لقطفها؟

لماذا أشممتها عطركِ؟

أهلْ كُنتِ تقصدينْ؟

ماذا فعلتْ يداكِ بعُمري؟...

بأحزاني؟...

يا من أتيتِ من نسيانِ السنينْ.

لا تلمسي وجهي...

فلونكِ قد يصبُغُ ألواني،

وقد يضيعُ العُمرُ وراء سرابِ حنينْ.

ماذا تفعلُ يداكِ حينما تجتاحُ يداي؟

إن دفئهما في جسدي يجري،

كنفسِ عازفٍ في ناي.

رعشتهما بين أصابعي

لعثمتني...

عاقت مشيتي وخُطاي.

يا ليتها ما كانت هذه الصُدفة،

يا ليتها ما أمطرتكِ عليَّ... سماي.

طلبُ استقالة

بعدما أنهيتُ فيكِ كُل القصيدِ

ولم يعُد في قلمي حبرٌ...

يكتُب عنكِ

وما من مزيدِ

بعدما أنهيتُ فيكِ مشوار شعرٍ

طويلٌ همّهُ...

مليء حُبّهُ... ناقِصٌ وعدُه

مُرتعِدٌ دائماً من الوعيدِ.

بعدما لم يعُد يعنيني

فما ليس فيكِ يكفيني

أنا أمامكِ عاجزٌ عن الكتابةِ

عاجِزٌ عن مقاومةِ...

هذا الخصمِ العنيدِ.

أنا عاجزٌ عن التعبيرِ أمام ضفائر

تمرّست بمهنة التهديدِ،

أمام مزاجيةٍ تتقِنُ لُغة التجديدِ.

تعبتُ من الوثبِ

تعبتُ من السفرِ

تعبتُ من رحلاتِ صدري

برفقةِ التنهيدِ.

فأنا ترحالي مستمرٌّ منذ ما قبل التاريخ
بين عينٍ وعين...
ونهدٍ ونهد
وشفةٍ وشفة،
حتى ضاع عمري على الطرقاتِ كالشريدِ.

معكِ كأني أبحثُ عن المستحيل
فبيني وبينكِ
حكايةُ السجَّانِ والطريدِ
لا يمكنُ أن يعرف نهايتها
أي متعبٍ أو رغيدِ.

فيا من تتقِنُ لعبة التعذيبِ
وحبسي في أوطانٍ مؤقتةٍ

وجلدي بالسّوطِ والحديدِ

خُذي...

هذه استقالتي من الحبِّ... من الشّعرِ

من كلِّ الأوطانِ التي تسكنينها

وأرجوكِ أن تقبليها

باسمِ الحبِّ الذي كان بيننا وغطّته

جبال الجليدْ.

عتابٌ لليل

منذُ قديمِ الزمانِ...

والليلُ صاحبٌ يعرفُ حدَّهُ

والنومُ كم كانَ على جفني يسير.

والحبُّ في "أولِ طلعتِهِ"

ولدٌ مُراهقٌ...

لم يزلْ على صخرِ القلبِ ينحتُ،

ذكرياتِ ألمٍ تخيّلها

وكتاباتِ عشقٍ مستحيلْ.

ما الذي جرى يا ليلي؟

كيف جنَّ فيكَ فجأةً...

هذا الضوءُ القمريُّ الجميلْ؟

كيف تعكَّر صفو...

هذا المزاجُ الهادئ الأسيل؟

كيف هان عليكَ أن ترميني

في وحشةِ ما تبقّى لي من سنين؟

كيفَ تحوَّلت هذهِ الصداقةُ بيننا، وانحدرتْ

إلى هذا الموقعِ الهزيلْ؟

ضاعَ معكَ يا ليلي...

آخرُ الأصدقاءِ المخلصين،

ضاعَ معكَ يا ليلي...

آخرُ الأحلامِ بجسدٍ أشتهيهِ،

ورجولة ترويها الأساطير.

كان الأملُ فيكَ كبيراً...

أن تبقى إلى جانبي طويلاً،

فأنتَ من عرَّفني المرأة

وأنتَ من عرَّفني الجسدَ

وأنتَ من كان يستقدمهما معاً إلى سريري،

ولا أعرفُ إلَّا في الصبحِ...

أنَّهُ كان تزوير.

كم كنتَ «تغشني» وأنا أُريدْ،

كم كنت «ترشوني» وأنا سعيد،

ولكنك تبقى في حياتي،أنت الوحيد...

من أعطاني، ولم أُعطه.

عيناكِ

القلبُ بين عينيكِ
بلا توقُفٍ يصولُ
يا صاحبة أقدمِ حُبٍّ
في أعماقي يجولُ.

تمشينَ على الأرضِ
فتعزفي على روحي لحناً
أقدَامكِ فيه الفاعل والمفعولُ.

لطفاً بالروحِ يا كُلَّ الروحِ
لو كان هذا العزفُ في صدري
كثيراً سيطولُ.

لطفاً بالروحِ يا كُلَّ الروحِ
فعلى الرغمِ من كُلّ هذا النزقِ
في شهوتي لكِ
وما زلتِ تحسبين أني خجولُ

تضحكينَ...
وضحكاتكِ تتغلغلُ في دمي

ويذبحُ أوردتي سيفٌ من الشفاهِ
برَّاقٌ و مسلولُ.

حتَّى يرميني حبُّكِ
في بقايا ليلٍ كسولِ
أسهرُ...

وصمتُ النجماتِ

أبلغُ من أن يقول:

أنَّا كلانا نسهرُ

لأنَّا اكتشفنا في عينيكِ...

أننا ذلك البريقُ المصقولُ.

في الحديقة العامة

على مسمعي...أصوات خطواتٍ تدنو،
تدنو مني، تعزفُ على روحي،
لحن السابقِ من الزمن.
يُطربني،يسترجعني بالذكرى،
يقتلعُ الصدأ عن قلبي - هذا الصوتُ،
ويُطهرُ نفسي من العفن.
إنه يدنو... مني يدنو... أكثر فأكثر،
وأصواتُ الخطواتِ ترتفعُ في المكانِ
وسرعان ما تتلاشى وتتبخر.
كنتُ أعلم أن قدومها،
يُنذرُ بهلاكي، وببركانٍ مكبوتٍ سيتفجَّر.

كنتُ أعلم أن قدومها،

سيغيّر المعادلةَ على هذه الأرض منذ الآن،

من يصحو ومن يسكر.

كنتُ أعلم أن قدومها،

سيُحرقُ جسدي كما يحترقُ عليها

الفستانُ الأحمر.

جلستْ أمامي على مقعدٍ في الحديقة العامة،

فأخذت الحقَّ الحصري لإشعاعِ النورِ في المكانِ

من المصدر.

أمرتْ طوعاً كل النجومِ،

وكل الأقمار أن تأتي،

معها كي تسهر.

نظرتْ إليَّ... نظرةً واحدةً

جفّفت دمي في عروقي،

وأرجفت فؤادي المبعثر.

لا أذكر طوال حياتي شعوراً أجمل،

لا أذكر طوال حياتي برجولةٍ أكمل،

لا أذكر طوال حياتي،

أني تمنيتُ يوماً...

غير أصواتِ خطواتها على مسمعي،

أن أتذكَّر.

قلبُ إنسانْ

كيفَ أنساكِ؟

وفي داخلي ما زلتُ أحملُ « قلبَ إنسان».

رغم أنَّ المراكبَ التي حملتكِ... ورحلتْ،

أضاعَ دروبَ عودتِها النسيان.

عبثاً...

رُغم كل الذي سيكونُ،

ورغم الذي قد كان،

عِطرُكِ يضِجُّ...

يفتِكُ بالمكان.

أنظري إليَّ...

لمَ عيناكِ دائماً مني...هارباتان؟

لمَ عيناكِ... متحجّرتان؟

سامحيني...

إنهُ حيفُ الزمان.

سامحيني...

فلم يئنْ بعدُ، للقائنا الأوانْ.

قولي لي

.سأحبك...

في ما تبقى لي من قلبْ

فهل يا ترى تأخرتُ

كي أُحبّ وأُحبْ؟

قولي لي... ما العملْ؟

فقد باتت دقّاتُ القلبِ في الأعماقِ

لا تُحتملْ

فإن أحببتُك

ترضى نفسي

وإن أحببتُكِ

يدور مع الكواكبِ... رأسي
ويغضبُ الأنبياءُ مني
ويعاديني الرّبْ.

قولي لي...كيفَ أتصرّف؟
وأنا كالرملِ المنسيّ على قارعةِ الطريق
في مهبّ الريحِ....أُجرفْ.

فإن أحببتُكِ
سأملكُ الدنيا بيميني
وإن أحببتُكِ...
تخلّى عني من يحميني.
فأيُّ حيرةٍ تتصارعُ مع صحو ضميري؟
وأيَّ طريقٍ أسلكُ كي أتجنّب هذه الحربْ؟

قولي لي...إن عاد هناك من كلامٍ يفيد،

أيصلحُ كي يرضوا

أن أسلخَ جلدي منتقماً؟

أن أضرب جسدي بالسيوفِ والحديد؟

لماذا أحببتُ؟

وكنتُ أقسمتُ

لماذا جُننتُ...

فأرسلتُ قلبي مجدّداً إلى سوقِ العبيد

ما هذه السهولةُ معكِ في التسليم؟

بدون مقايضةٍ...

بدون سعرٍ...

استسلمتُ لك... رغم التحريم

سلّمتُ نفسي لكِ...

سلّمتُ نفسي لحُبٍ ثقيلْ...

فانتبهي جيداً

احرصي

ما تبقى مني إلا القليلْ.

قومي

قومي، أذانَ العشقِ علينا، ارفعي.

علَّهُ يعطي شعري من حُسنِه...

جمالَ المطلعِ.

قومي،أيقظي كسلَ الأجفانِ في عيوننا

واسحبي الدمعَ المتحجرَ

سحباً من المدمعِ.

قومي، اقرئي في كتابِ الحُبّ سورةً

عن روحي التائهةِ...

على مسمعي.

فثوابُ القراءةِ من هذا الكتابِ عظيمٌ

كثوابِ قلبي الصابرِ...

على قلبكِ المتمنعِ.

قومي،غيّري المعادلة في حبنا

فأنتِ...

لم تطرحي في الحبِ، ولم تجمعي.

وإني أعطيتُ نفسي فُرصةً أخيرةً

وعليكِ أن تأخذي قراراً سريعاً

ولتتعجّلي.

فليس من المعقولِ أن تبقي هكذا فاترةً

ولستُ أطلبُ منكِ سوى شيء واحد

أن تفعلي.

أنا ما عاد بي شيء يصلحُ للحُبِ،

وقد قطّعتِ أوردتي،

ودمي الأحمرُ قد سال على المبضعِ.

قومي، اطمئني...

ما عدتُ عصبياً

والثورةُ ما عاد لها في داخلي

أيُّ مطمعٍ.

لقد قضيتِ على كل أجزائي

جزءاً...جزءاً

قومي، بلّغي

فلم يبق من أجزائي،

من يُبلّغُ عن مصرعي.

كيف لا أنوحُ

كيف لا أنوحُ؟

وكفرٌ إن أبوحُ.

الحبُّ صار يعتنقُ ديانتي،

والحبُّ بُثَّ فيهِ روحُ.

كيف لا أنوحُ؟

والمنايا على أرجاءِ ورقي،

كيفما أرادت تسوحُ.

والدمُ فوق الدمِ يتكدَّسُ،

وقد قامت لهُ... في كُلِّ مطارحنا صُروحُ.

كيف لا أنوحُ؟

ولمْ أعُد أشتاقُ إليكِ حبيبتي

ووجُه القمرِ الذي كان بيننا...

مرسال عشقٍ،

كلما رأى وجهي...

بوجهه الدامعِ يشيحُ.

كيف لا أنوحُ؟

وبلادي فقدت عذريتها

ورائحةُ الموتِ من كلِّ الأزقةِ تفوحُ.

والدينُ هو اللباسُ...والقناعُ

والحزامُ،

واللحيةُ الصمّاءُ....

كلما قتلت تستريحُ.

واللهُ آلهةٌ...

والتفسيرُ مروحةٌ،

والمساجدُ دكاكينُ والكلُّ فصيحُ.

فكيف لا أنوحُ؟

وكفرٌ أن أبوحُ.

لحظة أملْ

سأُشفى منكِ عمّا قريب،

لا بكاءٌ...لا نحيبْ.

لا يأسٌ أو انكسار

فالحرُّ... سجنهُ الفضاءُ الرحيبْ.

من أنتِ؟

ما هذا الشعورُ الرهيب؟

أحبيبتي.... أنتِ؟

وكيف يفعلُ هكذا...

حبيبٌ بحبيبْ؟

لماذا أبقيتني حياً ؟

يا من أتقنتْ لعبة الحبِّ،

وتصرَّفتْ كما تشاءُ في أجزاءِ قلبي.

يا منْ عبثتْ بأشيائي،

وحقنتْ خُبثَ دلالها في أرجاء دمائي.

إلامَ تتطلعينْ؟

عمّ تبحثينْ؟

ألا يكفيكِ أنكِ ملكتِ موتي وبقائي؟

لماذا أقمتِ بالأمسِ مهرجاناً على أشلائي ؟

ودعوتِ إليهِ كل من يحبكِ، ويحيا لأجلكِ

ألكي تسميني شهيداً؟

أو تجعلي من موتي مثلاً؟

مثلاً... يحتذي به كل القابعين تحت خط العشقِ
وأولئك المساكين، الذين ظنوا أن الموت بهواك
هو الطريقُ إلى الجنة.
لماذا أبقيتني حياً؟
لماذا طوال هذه السنينِ تعمَّدتِ اقتنائي؟
وأنت تعلمينَ أني لن أحيا دونكِ في فردوسٍ،
ولن يقتلني وأنا معكِ
سيفٌ شبِعَ من اختراقي.

فيا من أتقنتْ لعبة الحبِّ
رويداً.. مهلاً على قلبي،
فقد تُبطئ رحمتكِ جزر عمري
وقد تُطيلُ مدّي.
تمهلي في قتلي،

خذي كلامي ولو لمرةٍ

على محملِ الجدِّ،

تمهلي في قتلي،

وهذا ردِّي.

فيا من أتقنتْ لعبة الحبِّ،

أنا من أتقن لعُبة الموتِ لأجلكِ،

الموتُ فيكِ من الوجدِ.

ما لي؟

ما لي والنومُ لم نعدْ رفاق؟
ما لي لم أعُد مع دُنيايَ على وفاق؟
بات أكلي من ذكراكِ...
وشرابي من عينيكِ،
وعندما أُفكر أن أنساكِ...
يعاقبني تاريخي،
ويرميني في الزقاق.

ضيعتِ شبابي،
حبستني وعذابي،
ورحمةً من جوانبِ قلبكِ
آهٍ... لو يراق.

مراجعة تاريخية في أمة العرب

بات صمتي...

أبلغَ فماذا بعد أقولُ؟

وعن هذا الكبتِ... من المسؤولُ؟

حيرةٌ... شكٌّ... ضياعٌ واكتئاب،

والفلاحُ يحصدُ...

ما تجنيهِ الحقولُ.

ليس صحيحاً أنها أقدارنا،

فمتى قرّرت مساكنها العقولُ؟

وليسَ صحيحاً أننا تاريخٌ

في إشراقه... الوصفُ يطولُ،

فماضينا سباتٌ كحاضرنا،

والمستقبلُ يلازمه الأفولُ.

كان لنا نبيّ يُدعى محمداً

هو خيرُ البرايا... نِعمَ الرسولُ،

رفع الأمة بعد سنوات قهرٍ

فراياتها تخفقُ حيث تصولُ.

مات محمدٌ... فنامت الأمةُ،

واستفاقت ثعالبها

فأين أصبحت الأصولُ؟

قتلت حسيناً، فتولى عليها...

قرد زان ولقيط مخبولُ.

فتفرقت رجالها بين التفاصيلِ،

وقُرعت للحروبِ في كلِ وادٍ طبولُ.

وحُكمت الأمةُ من رجالٍ

من جهلها يُرفعُ المفعولُ.

إلى الوراءِ... إلى الوراء

شعارها الوصولُ،

فبات التخلف هدفهم وشغلهم

ففكرُ محمدٍ كاد يزولُ.

فكانت البداية، بداية التخلفِ،

وتحكمُ الأمة مجدداً الفلولُ....

ويحكمُ العباسيون بثارات الحسينِ

ويعتري الأمةَ تراجعٌ وأفولُ.

والدولةُ التي كانت تملأ الدنيا

بات يديرها عربيدٌ مشلولُ.

دويلاتٌ... شيعٌ...خمرٌ... نساءٌ

سلاطينٌ سفّاحون...أندلسٌ مقتولُ.

لعبتْ بنا كلُّ الأممِ...وفتحتنا،

وللمجدِ الكاذبِ... تكشّفَتِ النصولُ.

سلامٌ على الشرفِ والناموسِ

وداعاً يا حضارةً جرفتها السيولُ.

فماذا أقولُ وأقولُ وأقولُ؟

وتاريخُنا من بؤسِهِ خجولُ.

يعود فينا ويتكررُ كل حينٍ...

صال على أجدادنا بإحباطه وعلينا يصولُ.

أغايةُ الدينِ أن تحفّوا شواربكم ؟

يا أمةً في جهلها ماذا نقولُ؟

وحكامٌ توالوا بعد حكامٍ...

أحسنهم ثمنهُ «كمشة» بقولُ.

ومن يأسنا بتنا نفاخر

وندّعي أننا خيرُ أمةٍ

فتوهَّمنا أن نحاسنا... ذهبٌ مصقولٌ.

فرويداً.... رويداً،

لم تعد تُصدَّقُ أكاذيبكم

فالرؤوس قريباً، ستعودُ العقولُ.

هذا قراري

أنتِ حبيبتي... هذا قراري،
يا أعظمَ ذنبٍ ارتكبهُ مشواري.
يا موعداً تأخَّر كثيراً
وما قتلَ العصفَ في إعصاري.

أنتِ حبيبتي... هذا قراري،
وليس للمراكب حولٌ في غضبِ البحارِ
وليس للأقمارِ رأيٌ...
ساعةَ تبسطُ سُلطةُ الأنوارِ.

أنتِ حبيبتي... هذا قراري،

وقد ملَّت السنونُ انتظاري

وتعفَّن الجسدُ من غيابي

وتعِبت الآفاقُ من أسفاري.

فكم ضاعت فيكِ ليالٍ؟

وما زال تائهاً منّي نهاري.

أنصفيني... ساعديني فأنتِ حبيبتي،

ساعديني كي أُعاند لؤمَ أقداري

وأصرّي على حبّي

بقدرِ شدةِ إصراري

فأنا من تحييه يداكِ

وأنا صريعُ أفكاري

فإني من خانهُ قلبُه

وقد أمعنَ في استهتاري،

ساعديني على أخذِ قراري

فأنتِ حبيبتي... هذا قراري.

هوَ حلمٌ لأجلك

لأجلكِ...

ألتقِطُ قُرصَ الشمسِ بيديَّ

أُقطِّعهُ... أضعهُ في أصابعكِ خواتم،

أزرعهُ بين خُصلِ شعركِ براعم.

أيتها المرأةُ التي تسكنُ قلبي وتجتاحُ عينيَّ.

لأجلكِ...

ألتقطُ القمر...

أقطفُ الكواكب،

ألتقطُ الوداع من المراكب،

أفعلُ كل شيءٍ لأجلكِ،

أفعلُ المستحيلَ والعجائب.

يا صوتاً يرنُّ في ثنايا القلبِ

كأجراسِ الكنائس،

يا حُبّاً يتفشى في جسدي

كأخبار المجالس،

يا لهفةً من الماضي البعيدِ

يا طمعاً...

يسألُ فيكِ المزيدِ.

لأجلكِ...

سأقطعُ موعداً جديداً مع طفولتي،

سأغيرُ تاريخي وأرمّم جغرافيتي.

سأسكُب نفسي في داخلكِ...كالماء

كي تقتليني كلما تذوبين بين يديَّ حياء.

لأجلكِ...

كلُّ الدنيا ستنعمُ بالسلام

ويعانِقُ المطرُ الغمام.

لأجلكِ...

سأكتُبُ شعراً حتى أقضي،

سأحجّر الدمع في مقلي،

وأُعلن بشراسةٍ رفضي.

فما أنا في الحب إلا حالم

وما أنا في العمرِ إلا سائر،

والطريقُ إليكِ كان دائماً قصدي.

لأجلكِ...

حلِمتُ أني...

ابتسمتُ على أبوابِ حزني الدفين،

وعانقتُكِ طيفاً...

ويداي بلا وطنٍ ولا جبين.

فبكينا معاً...

ومشينا معاً...

وهكذا قُضي العمرُ

وهكذا مرَّت السنينْ.

ونحنُ نائمون

أراكَ يا وطني
فتبتلُّ بالدمعِ أوراقي
فوجعي، ما عاد يحتملهُ ضيقُ صدري
ولا براحُ الآفاقِ.

أراكَ...
وليلي يشتدُّ حلكةً
والضياعُ يفترسُ أشواقي.

أراكَ...
وما زلتُ أقامرُ معك بمصيري
وشيئاً فشيئاً.... أخسرُ أملاكي.

لماذا يولَّى عليَّ من تخصَّص في إيلامي

وقضى سِنيَّ العُمرِ

يبحثُ عن استسلامي.

وتعلَّم في أعرقِ جامعاتِ العالم

فنَّ خنقِ كلامي.

فيا من تعزِفُ ألحانك زوراً بوجداني.

ويا من تُجنَّدُ لصالحكَ بُهتاً

كُلُّ أحلامي.

يا من تنفِخُ أبواق الحربِ

بمزمارِ العصبيةِ والطائفية.

وتغرسُ في وسطِ الكبدِ

رايات الثورةِ وخطباً حماسية.

أفقتَ في داخلي أملاً كان قد مات

بأنّكَ ستعرف...

كيف شُيدت كل الأهرامِ؟

وأنَّك ستُوقف العرب... أخيراً

عن أكلِ تمرِ الأصنامِ،

وأنَّك ستعملُ جاهداً

كي يُقرأَ على مسامعنا في هذا العام

خطبة جُمعةٍ واحدة

لم يأتِ بها الأئمةُ...

من دور الحكامِ.

لكن سرعان ما أطلقت النارَ

على الأملِ والأماني

حين وقفتَ على منصةِ التتويجِ أمامي،

وادعيتَ استلامَ السلطةِ من الشعبِ

ومن سلطةِ الشعبِ...

قرّرت عسكرياً... إعدامي.

أحرقت كتبَ الشعرِ وكتبَ الأدبِ

وكُتبَ التفسير القرآني،

فرضتَ علينا أئمةَ مساجد

يحثّوننا على المسامحةِ والتواضع

على الرأفةِ والمحبة،

ويحاضرونَ...

كيف يستعبدون المرأةَ

وكيفَ يعالجون سرعة القذفِ

وضرورة عقدِ القرانِ.

بينما كانت الدولة التي تملكها

تُفحشُ بنا

تغذي كل العصبياتِ

وتكافئ الأخطاء بالانتقامِ.

أطلقتَ النار على صفحاتِ العلومِ

على رموزِ الرياضياتِ

وقتلت ما في نياتنا من كلامِ.

أصبحتَ حكماً واهياً

تزعجه الثورة...تزعجه الحماسة

وتزعجه المسارحُ والمقاهي.

أحييتَ فينا تاريخاً بالأصلِ مزيفاً

مصنوعاً بمجدٍ بالٍ،

ساندت كلّ قاتلٍ في هذه الأرض

وكلّ سفاحٍ

وخنت أوطاننا مع كلّ إمبريالي.

باسمِ الشعبِ... هتكت العرض

وباسمِ الشعبِ... خُنتَ العهد

وباسمِ الشعب...قتلتنا جميعاً

وباسمِ الشعب...ألغيتَ الله

ونصّبت نفسك إله الأرض.

بصراحةٍ...

لم أعد أثق ببلادنا

بثقافةِ الثورةِ

ووعي الأمةِ

فالذي كان يوماً ربيعا

استغلَّتهُ قوى الشرّ ليلاً

فبات تحت يدِها مُطيعا

ومن سيأتي سيكون لها صنيعا

ونحن نائمون... نائمون....

أنتِ دليلي، بوصلةُ جهاتي

يتيه دمي،

بأورادكِ يجري أم بأورادي.

يا وطني، يا منزلي الأخيرَ قبل موتي،

يا ألماً لم يكن قادراً على نقلهِ صوتي،

يا من نفتني إلى داخلي...

ونسيتني،

يا صحراء خيلي، يا انبلاجَ النورِ فوق يدي الليلِ،

يا رجفةَ الاشتدادِ، يا اهتزازَ الإلحادِ،

كل بلدٍ تسكنهُ عيناكِ...

بلادي.



علي حسين ملحم مواليد الناقورة - جنوب لبنان.

بكالوريوس في الهندسة المدنية.

صدر له: إعلان نضوج (شعر)، دار الفارابي، ٢٠١٣.

للتواصل:

amilhem@live.com
www.facebook.com/AliMilhem.officialpage


ISBN 978-614-432-068-6
9 786144 320686